

كتاب العدد

الأمومة: تجارب امرأة عربية في الحمل والولادة والتربية

د. ريماء عبد الرحمن الصبان
الشارقة: جمعية الاجتماعيين، ١٩٩٩م.

مراجعة

د. تغريد محمد القدسي

مديرة برنامج علوم المكتبات والمعلومات
كلية الدراسات العليا
جامعة الكويت

٢) قضايا تنشأة الأطفال وما لها من تبعات مثل "اهتمام المرأة بنفسها" وحبها لنفسها كعامل مساعد يمكنها في أوضاع مشحونة بالضغط والأعباء من المحافظة على التوازن من أجل نفسها وأطفالها وانعكاس ذلك على تعاملها معهم . هذه القضية الهامة التي ترائنا نتأرجح بضمها بين معادلة المحافظة على التوازن والخروج من تهمة الأنانية ، تشكل نقطة أخرى هامة بحاجة لأن نبلور نحن جموع النساء فهماً عقلانياً وموزوناً لهن . فلا نغالي بحب النفس ولكن لانغيبها . ولاشك أن الإحساس الأزلي بالذنب المرافق للمرأة العاملة والخوف من التقصير فيما يطلب منها يقودها في كثير من الأحيان لإلغاء النفس . أما " موضوع الاعتماد على الخدم وأهمية الرقابة عليهم " وخاصة في منطقة الخليج بالتحديد فقد نوهت له الكاتبة كذلك . كما تطرقت الكاتبة لموضوع "الضرب" واعتماده منهجا في التربية في أوساط عديدة من مجتمعاتنا .

٣) أما موضوع " إخفاء المشاعر " وعدم التعبير عنه كموروث ثقافي نكاد لانفكر به رغم ما له من أهميه في الصحة الكلية للإنسان بشكل عام فهو موضوع يكاد يكون غير مطروق سواء بأوساطنا الإجتماعية أو بالأدبيات المنشورة . ولقد نجحت الكاتبة في تحديد دوره في الصحة الكلية للفرد وللمجموعة . وفي مجتمعاتنا تزداد أهمية التعبير عن المشاعر خاصة ونحن نشأنا على تمجيد العائلة دون تقييم أدوارها الإيجابية كما السلبية وبموضوعية مما يطرح هذا الموضوع للنقاش بشكل جدي .

٤) ثم تناولت الكاتبة موضوع عدم " الإهتمام بأسئلة المرأة الحامل " من قبل الأطباء المختصين . وهكذا بات الأطباء غير عابئين أو محترمين لثقافة وعقل المثقفة فخرورها ، وغير مفيدين للغير مثقفة والتي هي بحاجة للمعلومات فخرورها . ويزيد من أهمية ذلك وضع المهن بشكل عام في عالمنا ودور المهن كمهنة الطب في حياتنا عمليا ورؤية أخلاقيات المهن بمنظور شامل .

٥) ثم تنتقل الكاتبة لموضوع " المرأة المقموعة " والتي تنشأ أطفالا مسحوقين . ولاشك أن هذه صورا موجودة في العالم العربي ولا شك أيضا أن الصور المتناقضة كثيرة في العالم العربي والتفاوت كبير من مكان لآخر ، وبالتالي من الهام الإشارة لذلك وعدم التعميم ، الحقيقة التي تضعنا أمام إشكالية وتحدي دراسة المرأة العربية وقضاياها وهمومها من جهة وأهمية الإلتفات لما طرحه الكتاب من مواضيع تشكل خططا من الهام دراستها مستقبلا . ولقد نجحت هذه الدراسة في الإشارة لهذه المواضيع الحيوية ، هذا إضافة لمواضيع أخرى عديدة لاتقل في الأهمية .

مما لا شك فيه أن بهذا العمل بداية طريق عبده الكاتبة بخلق جو من التوحد

والأنفة بينها وبين النساء العاملات اللاتي يحسسن بنفس الهموم، ولا أخفي على القارئ مستوى التماثل الذي أحسست به وأنا أقرأ الكتاب. أقول ذلك مشددة على أهمية أن يكون النقاش لهذه القضايا مطروحا للرجل كما للمرأة. أما أسلوب التناول فكنت أود لو أن الكاتبة خفضت من العبارات التقييمية للتجربة التي صورتها مثل: "ولكني لم أفقد التوازن" أو "ربما تخطت مشقتها في بعض اللحظات القدرة الإنسائية للتحمل"، وتركتها لنا لنستنتجها من سردها للموضوع. كانت ستكون جد مؤثرة فهي سلطت الضوء عليها بوضوح ونجاح وتفصيل.

لم يتجنب هذا الكتاب كما غيره من الكتب المطبوعة في العالم العربي للأسف مشاكل النشر والطباعة التي تميز صناعة الكتب. فمثلا نمط الخط العادي والمحدد أو الداكن غير واضح ليساعد في الانتقال من موضوع لآخر، إضافة للأخطاء المطبعية الكثيرة والتي كان من الممكن تفاديها.

كذلك جاءت عملية الانتقال من موضوع لآخر سريعة، دون التقديم لها، مما يضعنا مرة أخرى أمام أهمية التدقيق والتحرير كمهنة لها ممتنيتها الذين يتناولون النصوص لصقلها من زاوية مختلفة، ويكونوا الواسطة بين النص والطبعة. وهكذا جاء الكتاب مثقلا بالموضوعات مما قد يخلق إرباكا للقارئة العادية البسيطة. يبقى أن الكتاب حاول الكثير وهذا ما جعله يبدو مثقلا، وعذرت الكاتبة أن الموضوع أساسا مثقلا بالهموم والقضايا التي لاتعار أهمية عندنا لأن رغم أهميتها. وحقيقة أن هذه الأمور لم تطرح للنقاش سواء بشكل رسمي أو غيره. ويجب أن تكون ذات اهتمام من الرجل والمرأة سواء. وما هذا الكتاب إلا بداية، أمني أن تقود للمزيد من التأملات المشابهة التي تساعدنا على فهم مكونات النفس أكثر وخاصة بعلاقتها المجتمعية.

نكاد نحن الأمهات لا نذكر بالأمومة كفكرة تستحق الوقوف عندها، فنحن النساء العاملات نكاد نكون في سياق مع الزمن لا ينتهي، حتى كدنا أن ننسى أن ممارسة "الأمومة" بجدارة في خضم تعقد الحياة ومتطلباتها تستحق الإكبار. فالشكر للكاتبة على إعطاء كل أم جديرة الفرصة للإحساس بذاتها وإنجازها.